
سلسلة غزوات الرسول ﷺ للناشئة (٩)
غزوة يهود بني النضير
تأليف
د.أحمد الخاني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ديتان:

كان عمير بن أمية الضَّمريُّ قتل رجلين من بني عامرٍ ثأراً لخبيبٍ ﷺ ولم يعلم بالعهد الذي معهما من رسول الله ﷺ.

وكان بين الرسول ﷺ وبين اليهود لعنهم الله عهدٌ في الدفاع المشترك عن المدينة، فأراد الرسول ﷺ أن يجمع من اليهود مالاً يستعين به على وفاء الدِّيتين للقتيلين.

المؤامرة الرهيبة:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامرٍ اللَّذين قتلهما عمرو بن أمية، للعهد الذي كان رسول الله ﷺ قد أعطاهما، وكان بين النضير وبين بني عامرٍ عقدٌ وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم ببعضٍ فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — يعني رسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعدًا — فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرةً ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعبٍ فقال: أنا لذلك.

فصعد ليلقي عليه صخرةً كما قال، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فيهم أبو بكرٍ وعمر وعليٌّ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة فلما تفقَّد النبيَّ ﷺ

أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به.

فبعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر، فقويت نفوسهم عند ذلك وحمي حييُّ بن أخطب، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنَّهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود.

الجيش الإسلاميُّ يحاصر بني النضير:

أمر الرسول القائد ﷺ بالزحف على بني النضير، فزحف جند الله على أعداء الله وحاصروهم خمس عشرة ليلةً، فتحصنوا بالحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه: أنا يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟

وكان المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي سلولٍ، ووديعة بن مالكٍ، وسويد بن داعسٍ قد بعثوا إلى النضير أن اثبتوا وتمنَّعوا فإنَّا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربَّصوا ذلك من نصرهم، فلم ينصروهم، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكفَّ عن دمائهم على أنَّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاَّ السلاح، فوافق النبيُّ ﷺ وأعطى كلَّ ثلاثةٍ منهم بعيرًا يعتقبونه وسقاءً.

يهدمون بيوتهم بأيديهم:

قال ابن إسحاق: فكان الرَّجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشَّام فكان من أشرافهم من ذهب منهم إلى خيبر سلاَّم بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحييُّ بن أخطب..

فلما نزلوا دان لهم أهلها، وخرج يهود خيبر يستقبلونهم بالنِّساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاءٍ وفخرٍ ما شوهد مثله لحيٍّ من الناس في زمانهم.

وتركوا الأموال لرسول الله ﷺ وهي النخيل والمزارع، فكانت له خاصةً يضعها حيث يشاء فقسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلاَّ أنَّ سهل بن حنيفٍ، وأبا دجانة ذكرا فقرًا فأعطاهما، وأضاف بعضهم الحارث بن الصِّمة.

المسلمون من بني النضير:

ولم يسلم من بني النضير إلاَّ رجلان وهما: يامين بن عمرو بن كعب ابن عمِّ عمرو بن جحّاشٍ.

وأبو سعيد بن وهبٍ، فاحرزا أموالهما.

وقال رسول الله ليامين: «**ألم تر ما لقينا من ابن عمِّك، وما همَّ به من شأني؟**».

فجعل يامين لرجلٍ جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاشٍ فقتله لعنه الله.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم من نقمةٍ وما سلَّط عليهم به رسوله ﷺ وما عمل به فيهم.

الله يفضح اليهود والمنافقين:

أنزل الله سبحانه وتعالى سورةً كاملةً هي سورة الحشر، يفضح فيها اليهود في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 1، 2].

قال ابن إسحاق رحمه الله: فكان اليهوديُّ ينزع نجاف بيته؛ يساعده المسلم في ذلك حتَّى لا يتأخر في المدينة المنورة.

ثمَّ قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّينَةٍ﴾ [الحشر: 5]. وهو جيد التمر.

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: 5].

إنَّ الجميع قد أذن فيه شرعًا، فلا حرج عليكم فيه، ولنعم ما رأيتم من ذلك، وهو ليس بفسادٍ كما قال شرار الناس، وإنَّما هو إظهارٌ للقوة.

كما فضح الله تعالى المنافقين بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر: 11،12].

كان جلاء بني النضير من المدينة المنورة مثل جسمٍ كان فيه دمَّلٌ خبيثٌ من دمامل السرطان القاتل، ثم تخلَّص منه بقدرة قادرٍ.

الشِّعر في المعركة:

قال كعب بن مالكٍ يذكر جلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف يدور[1]

فلما أشربوا غدرًا وكفرًا وجدّ بهم عن الحقّ النفور

فغودر منهم كعبٌ صريعًا فذلّت بعد مصرعه النضير

وتلك بنو النضير بدار سوء أبارهم بما اجترموا المبير

غداة أتاهم في الزحف رهوًا رسول الله وهو بهم بصير

فذاقوا غبَّ أمرهم وبالاً لكلِّ ثلاثةٍ منهم بعير

وأجلوا عامدين لقينقاعٍ وغودر منهم نخلٌ ودور

(1) الحبور: جمع حبر وهو عالم اليهود.

وقد رعب اليهود بعد جلاء بني النضير وخافوا وتنشَّط المسلمون وانتعشوا حيث أمن المسلمون في المدينة المنورة من جهةٍ مخوفةٍ.
لقد كانت غزوة بني النضر نصرًا للمسلمين بعد مأساة بئر معونةٍ.
القصة العجيبة:
لما أخرج الله بني النضير من المدينة، أقبل عمرو بن سعدى القرظي فطاف بمنازلهم، ورأى خرابها، فكَّر ثم رجع إلى قومه بني قريظة، فوجدهم في الكنيسة، فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا: أين كنت منذ اليوم لم نرك؟ قال: رأيت اليوم عبرًا، رأيت منازل إخواننا من بني النضير خاليةً بعد ذلك العزِّ والشرف، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذلٍّ، وقد قتل قبل ذلك كعب بن الأشرف صاحب عزهم، وكان في بيته آمنًا، ثمَّ قتل ابن سنينة سيدهم، وأجلى بني قينقاع، وكانوا أهل عدَّةٍ وسلاحٍ ونجدةٍ فحصرهم، فلم يخرج منهم إنسانٌ رأسه حتَّى سباهم فكلِّم فيهم فأجلاهم من يثرب.
يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتّبع محمدًا. فوالله إنكم لتعلمون أنه نبيٌّ، قد بشرنا به وبأمره ابن الهيّبان أبو عميرٍ وأبو حراشٍ وهما أعلم يهود، جاءانا من بيت المقدس وأمرانا باتباعه وأن نقرئه منهما السَّلام. ثم ماتا. فسكت القوم فلم يتكلم منهم أحدٌ، ثم أعاد الكلام وخوَّفهم بالحرب والسباء والجلاء.

فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا، التوارة التي نزلت على موسى. فقال له كعب بن أسدٍ: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟

قال: أنت. قال: فلم؟ أنا ما حلت بينك وبينه قطَّ.

قال الزبير: أنت صاحب عهدنا وعقدنا، فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا.

قال كعب بن أسدٍ: ما تطيب نفسي أن أصير تابعًا.

منعه الكبر من أن يسلم فيسلم معه قومه اليهود فاستأصلهم الله تعالى ذبحًا بأيدي المسلمين.